حدود تبين المجال

حين دُعيتْ لحفلة تتويج خاصة. قالوا لى ستقابل ملكة. فى هذا العصر، عصر العامة، كانوا يتحدثون بصوت واحد، نعم ملكة ولها اتباع وبطانة وفرسان أيضا والليلة سنأخذك إليها، صدقت الكذبة. ما أروع الأكاذيب غير الضارة. كونك واحدا من عشرات وسط جموع الناس ومشاغل الدنيا تحط عليك... كونك واحدا تسلطت عليك زوجتك فسلبتك المنزل والأسرة والأولاد، قاد الموكب وسط زحام مراد، أحدهم بحماس قال: أتراهم جميعا يقصدون القصر، لابد للملكة من قصر فخم، كما هو يطل على النيل قصر شوقى أمير الشعراء، قدمنى صديق من رعايا الملكة إلى السيد القابض على مراسم حفل الليلة، هذا هو مدير قصر أحمد شوقى الشاعر على عمران، خذ مكانك بين حضور الصف الخامس. فالصف الأول محجوز لوزراء الملكة والثانى للوجهاء والثالث للعشاق والرابع للشعراء وهكذا، نظرت فإذا هناك صفوف خلفي. تمتد حتى الباب؛ وإذا هناك وقوف بالشرفة ينتظرون قدومها، لعل الليلة تكون سلوى عن أحزان الأمس، حدثت نفسى بالانتظار. القرار كان قرارها. هى

أرادت الانفصال والأولاد، والبيت، بل وحتى السنوات الكثيرة السابقة. لن تأخذ شيئا. فأنا أنفيك بعيدا عن بيتك، أنا حاضنة وأسجنك بحجة أن بددت أثاثي. وأنا، آه ماذا عساه يكون عليه وجه الملكة. تلاشى الناس من حولها فجأة ورأيت الملكة تخطو على السجادة الحمراء، حتى منصة الإلقاء. إلقاء الشعر، زادت طولاً حين ارتقت السلم واطلت علينا من علياء، همست حين تجمدت الأصوات وتسلق الصمت السور - : ما اسم الملكة؟ زفر صديقى : فـ - فاديه .... نصـــار!! ذات رداء أسود من قلب الليل، فى وجهها ندبة، عيناها فى روعة أرض ذات نخيل، لا تنظر فيهما أو تتحدى، صوتها أعذب من أى هديل، قالت فى ومضة كلمات، نفذت مباشرة نحوى فى سرعة سريان النور وتبدل الون الفجر، والتقطت أذناي، أسطر ظلت عالقة بالذاكرة!! لم أتحمل صفع الكلمات، كلها سلاسل أكاذيب، أنا لا أعترض على أحلامك وأمانيك، لكن الأمر خطير حقاً أصبحت أحاكى تمثالا صنعته يداك، أصبحت أخافك من نظرات فى عينيك، نظرة مثال إلى الصلصال يعرف كيف كيف يشكله، يعرف أين تكون الأنف. أين يكون الفم . وكيف يبدله، أبدلت الأمس باليوم، البارحة كدت أفقد حياتى بسبب الضغط وانتابتنى رعشة فى يدي، قالوا إنها سوف تزول بعد أيام. المهم أن أتناول الدواء باستمرار. حقا هذا الزمن عجيب، لا شيء أبدا يذهب أدراج الريح، كابوس واحد يتكرر فى كل الأحوال. على ألف. ألف مهمة بين اليقظة والغفوة والترحال، على إطعام الأفواه بلقمة أو قضمة، على

إسكات الجوعى وقطر الماء من الأوحال، نعم كيف أرتب فى الفوضى حياتي، وأنتم أغلقتم كل الأبواب بالأثقال، كيف سيعيش أولادى بعد أن فعلت تلك المستبدة كل ما لم يخطر فى بالى كى تأخذ كل شيء. أفقت على تصفيق الحضور، هذا هو الكاتب المشهور يقول لها أحسنت، انتبهت إلى إننى أيضا أصفق لها بشدة وحرارة أشعرتنى الحرارة بسريان الدم فى عروقي، مال صديقى وهو يقول اعلمت لماذا يدعونها ملكة. انها تشد وترخى كما تريد؛ وكل هؤلاء عشاق شعرها، انظر كيف خرجت مما كنت فيه من قهر المرض، وافقت على رأيه، فكرت كم تلهى الكلمات، ماذا لو أنى أسير هناك عند الوديان المنسية. تحمينى وأنزعها ثوبي، أشجار السنط الغجرية، ماذا لو ان فروعى زادت طولا، أمسكت الشمس أو نلت شهابا، أتصير حواؤك غيرى واعود كما جئت ترابا، بل، سوف أعود، عندى أغنية وعندى مجداف جزء من أغنيتى شعر والباقى لحن وزفاف. لم تبق فى الدنيا دروب، وكذلك لم تبق ضفاف، يا لهذا الجمع، إنه يوحد بين المشاعر. تذكرت كم كانت هوايات صغيرة تزيل تراب وعوالق ما فى النفس، كان الحضور بدأوا فى السلام للإنصراف. تقدمت منها شكرتها ومددت يدى لأصافحها، كانت يدى ثابتة قد فارقتها، رعشات الأمس، بل أراها قوية، أبقت يدها للحظات وقالت فى ثقة ـ : هل اعجبتك الأمسية الشعرية؟ نعم، ـ: إذن نحب أن نراك فى مملكتنا دائما، تتخطى السور وتأتي، سوف أعود. لا أحسب أننى خسرت الجولة بعد، ستجدنى أقفز بين

الأحياء فى المستقبل وأطل برأسى من جديد، فى حياة أولادي. فالأمر أحدث تخلخل فى الأرض تحت قدمي، ولكنى أطل من نافذتي، لا أحلم، لا أتكلم. تسمعنى إرادتكم رغما عنكم، أحصى خفقات قلوبكم. يحمل برد الصباح إلى تنهدات صدوركم. تتناوب على أحلامكم، أفكاركم، أرسلها فى سئم إلى منامكم، كما أشقى وأنتم تغالبون النعاس؟؟.